



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 10/07/2024

تاريخ القبول: 2024/11/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

علمائنا ودورهم في تطوير الدرس اللساني بين المعترفين بفضلهم والمنكرين له

***Our Scholars and Their Role in Developing
Linguistic Studies: Between Those Who
Acknowledge Their Contributions and Those
Who Deny Them***

يوسف قسوم¹¹جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي

gyoucef690@gmail.com، (الجزائر)

الملخص: يعالج هذا المقال مسائل مهمة حول الدرس اللساني العربي الحديث وربطها بالقديم وتضع استراتيجيات استشرافية للرقى به، كما تطرح انقسام الباحثين في هذا الشأن حول رؤيتهم للدرس اللساني الحديث من حيث الموضوع والمنهج والغاية إلى ثلاثة أصناف، أما الصنف الأول فيرى أنّ دروسنا اللغوية عربية أصيلة يعود الفضل فيها إلى جهود علمائنا من اللغويين والفلاسفة والنقاد من أبناء الجيل الأول ثم طورها من جاء من بعدهم بما استفادوا من نظريات العلوم الحديثة والصنف الثاني ينكر تماما ويرى أنّ العرب لا علاقة لهم بالدرس الحديث. أما الصنف الثالث فيحاول التوفيق بين الرأيين وهو ما تبناه المقال.

الكلمات المفتاحية: الدرس اللساني الحديث، الموضوع، المنهج، الغاية، العلاقة.

ABSTRACT

This article addresses important issues regarding modern Arabic linguistic studies and their connection to ancient studies. It outlines forward-looking strategies to enhance them and discusses the division among researchers on this matter. Researchers' views on modern linguistic studies, in terms of subject, method, and purpose, fall into three categories. The first category believes that our linguistic lessons are authentically Arabic, crediting the efforts of our scholars, linguists, philosophers, and critics from the early generations. They were later developed by their successors, who benefited from modern scientific theories. The second category completely denies any connection between Arabs and modern linguistic studies. The third category tries to reconcile both views, which is the position adopted by this article.

Keywords: Modern Linguistic Study: Subject, Method, Purpose, Relationship.

1. مقدمة:

كما هو معلوم لدى الدارسين من مختلف الملل والنحل خاصة المنصفين منهم بأن الدراسات اللغوية جاءت على إثر المعجزة التي شهدتها المجتمع القريشي العربي بنزول كتاب الله السماوي بلسان عربي مبين، وكان هدف الدراسات اللغوية تشمل البيان، والشرح، والتفسير، والتأويل. كما كانت هذه الدراسة تحت غطاء ديني، ولم يكن لغويًا بحثًا حيث تنوع بين التفسير والفقه والأصول. والغريب كمثل غريب القرآن، ولما وصلت هذه الدراسات إلى القرن الثاني كما يقول السيوطي -رحمه الله-: "منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو" (السيوطي، 2003، صفحة 208).... بل وصلت العلوم اللغوية إلى الذروة بحلول القرن الخامس الهجري، كما يقول أحمد مختار عمر: "...أرخ العلماء لنضوج العلوم اللغوية وصولها إلى الذروة في القرن الخامس الهجري، ففيه اكتملت الأعمال المعجمية كما وصل النحو والأصوات والصرف إلى الذروة قبلها" (عمر، 1975، صفحة 11).

والدرس العربي القديم كان زاجراً بشئ العلوم، وظلّ يشعُّ نوره إلى أن سقطت الاندلس >> الفردوس المفقود <<، والحديث يطول عنها وعن علمائها الذين كانوا سبباً في انقشاع ليل "أوروبا" التي كانت تعيش في ظلمات الجهل وتسلط الكنيسة. بالوصول إلى الدراسات اللغوية الحديثة حيث تأثر الدارسون والباحثون العرب بالمدارس والنظريات اللسانية التي منها المدرسة البنيوية والمدرسة الوظيفية والمدرسة الغلوسيميائية (يلمسليف) ومدرسة النحو التوليدي التحليلي، وقد تفاعل الباحثون العرب مع منجزات هذه المدارس، وهذا لا يعني تقبُّل كل ما جاء به هذه المدارس، فقد كان ولادة عسيرة للدرس العربي الحديث إكتنفها معارضة شديدة من قبل بعض الباحثين، وتأييد مطلق من بعضهم الآخر، وصولاً إلى من جمَّعوا بين الأصالة والمعاصرة خاصة في بلاد الشام ومصر، تلك البلدان التي أرسلت طلابها إلى أوروبا وبعثات نتج عنها تلافُح حضاري كمثل ما أثاره رفاعه الطهطاوي: "أوفدوا طلابهم ليحدثوا تلاقحاً حضارياً، فبعد عودة الطلبة حملوا بذور التغيير". فقد أثار رفاعه الطهطاوي بعد عودته من أوروبا قضايا لغوية مهمة كدراسة اللغات على رأسها الفرنسية (علوي، 2009، الصفحات 34-35).

وإذا كان المعارضون لاستقبال الدرس اللساني العربي الحديث كونه نشأ ونما وتطوّر في أحضان لغات أخرى لا تمتُّ للغتنا العربية الأصيلة بأية صلة، بل اعتبروا اللسانيات منهجاً بحثياً خاصاً بلغات أخرى ذات خصائص وسمات تختلف عن خصائص وسمات لغتنا العربية، بل لا علاقة لها ببيتنا وثقافتنا وتقاليدنا وأعرافنا والله درُّ الباحث رشيد عبد الرحمان العبيدات حيث يقول: "من العسر والتعذر أن أطيّق منهجاً بحثياً وُضع مناسباً للغة أو اللغات ذات سمات خاصة على لغة امتلكت قوة خلودها وبقائها راسخة على خصائصها..." (العبيدات، 2000، صفحة 22). ولهم أدلة أثبتت صحتها الأيام والحوادث والعلوم التكنولوجية والتجريبية، مع ذلك أنا شخصياً مع من رحّبوا باللسانيات الحديثة، بل بالقراءات المعمقة ودراسة المناهج قدر الإمكان بشرط ألاّ نخلى عن لغتنا وفصاحتنا وبلاغتنا ونرتقي في أحضان من يقولون: بأنّها لغة شرعية كبلتها القواعد من نحو وصرف وبلاغة وعروض كما يدّعي بعض التغريبين والعلمانيين والحداثيين عندنا. وهذا الباحث رشيد عبد الرحمان العبيدات يؤكد ما قلته: "ولعلي لا أبالغ إذا قلت أنّ ثمة غُلُوّاً أو

جموداً يلتهج به نفرٌ من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي في هذا القرن بمهدف الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى اللسانية الحديثة، ولا سيما المعنيتين بالعربية ممن تعلّموا شيئاً عن الغربيين أو اطلعوا على ما جاءت به التّجمات في كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا بعد دي سوسير 1913م... (العيدات، 2000، صفحة 21). وقد أثبت بعض الدارسين أنّ هناك أزمتاً وإشكالات جمة شكّلها التضارب المفاهيمي، واستقبال اللغة العربية للسانيات الحديثة وهذا ما نصّ عليه الباحث حافظ إسماعيل العلوي: "... ليس من المعقول أن تتحدّث عن أزمة علم ما ومآله بالقفز عن مراحل تشكيله الأولى، وما ينشج عنها من إشكالات فالأزمة عادة ما تكون نتيجة لا سبباً، وحتى وإنّ صحّ الحديث عن أزمة فإنّ إدراك حقيقتها لا يمكن أن يكون إلّا بجعلها أزمة إنطلاق لا أزمة نحو" (علوي، 2009، صفحة 62).

بل يذهب بعض الباحثين أنّ مبعث اللسانيات ونظرياتها ومناهجها وتطبيقاتها على لغتنا إنّما المهدف منه هو التشكيك في الموروث العربي، "لقد وجد الباحث العربي نفسه تبعاً لعدد من الممارسات الاستشراقية التي أرادت فرض سيطرتها عليه، والانحراف به عن المنهج العلمي بغية التشكيك في الجدوى التاريخية المعرفية في الحضارة الإسلامية، كما وجد نفسه أيضاً تبعاً لعدد كبير من النظريات والمناهج والمدارس الغربية، لأنّه لا يملك نظرية خاصة به مستوحاة من الحضارة التي يريد أن ينطق باسمها" (عياشي، 1990، صفحة 15).

كذلك الباحث يختار ويندهش إذا كان من المبتدئين في وُلوج عالم اللسانيات والدرس اللساني الغربي وتطبيقه على اللسانيات العربية والدرس العربي الأصيل لأنّ الدرس اللساني الغربي متشردم ومتباعد بسبب اختلاف المشارب ممن نقلوه لنا من المشاركة الذين يترجمون عن الإنجليزية والمغارة الذين يترجمون عن الفرنسية. ويكفي أن نعطي مثلاً حيّاً ذكره عبد السلام المسندي في قاموس اللسانيات ما يربو عن عشرين إسماً لهذا العلم؛ فقال: "اللغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانية الدراسية اللغوية الحديثة، النظر اللغوي الحديث، اللغويات الجديدة، اللغويات الجديدة، اللغويات اللسانية، الألسنيات، اللسانيات..." (المسدي، 1984، صفحة 72).

وعليه لا مناص من العقلانية والمزاوجة بين القديم والحديث كما دعا إليه عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي دعا إلى المزاوجة بين تراثنا واللسانيات الحديثة كمثّل دعوته التوافقية إلى ما يُعرفُ بالنظرية الخليلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث وذلك في الفكر النحوي واللغوي ل: عمر و بن العلاء، عيسى بن عمر، وإسحاق الحضرمي من قبلهما، والخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويو. وأكّد -رحمه الله- على أنّ لهم منهجاً استقرائياً قائماً على المشاهدة والرواية الصحيحة، كما أنّ الحاج صالح كان مطلعاً على النظريات الجديدة التي جاءت بها اللسانيات وخُلصَ إلى القول بأنّ النظريات الجديدة يجب أن تُركّز على النظريات القديمة وألا يُزْدَرى أو يُهْمَش ما خلفه القدامى وفي ذلك يقول: "ضرورة لجوء الباحث إلى نظرية علمية في اللغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصياغة المنطقية الرياضية..." ونعتقد أنّ هذه النظرية بالنسبة للعربية يُمكن أن نجدّها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا في كلّ المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الاصيلية التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد وتلميذه سيويو" (الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

فهذا النص وغيره من النصوص التي لا يتسع المقام لذكرها دليل كافٍ للاقتداء بعلمائنا القدامى الذين تركوا لنا مناهج إستقرائية قائمة على المشاهدة والتأويل والقياس يمكن من خلالها تشكيل نظريات متكاملة في جميع النواحي اللغوية -مع ذلك يبقى السؤال مطروحاً- هل الذين يهاجمون التراث قرأوه وتمعنوا فيه وإطلعوا على جهود قممنا من جهابذة المسلمين والعرب الذين أبدعوا إنما إبداع دون محاملة وتركية.

2. تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة

تأثر اللغويون العرب كغيرهم من الأمم بالثقافة الوافدة من الغرب إنبهاراً أو إتياعاً أو إعجاباً وهذه قد تكون عند معظم البشر، وبالتالي تنوع الخطاب اللساني اللغوي العربي الحديث، وتعددت الكتابات من المغرب العربي إلى المشرق، وكانت لهذه الكتابات عوائق ومشاكل إن على مستوى الموضوع أو المنهج أو الغاية. وفي هذا الصدد نتعرف على معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة، وأنواع الكتابة ومعوقاتها. وقبل البدء أشير إلى أن كثيراً من الباحثين كتبوا حول هذا الموضوع، وهذا لا يلغي أن تستثمر الكتابة لزيادة الإفادة والتعمق أكثر، وألاً نعمل بما اخترعه بعض الباحثين بقولهم حول أي موضوع يتم طريقه (قُتِلَ بحثاً) لأنه من المستحيل أن تُقَتَّل البحوث لأنَّ الأساليب تتعدّد كما تتعدّد العبارات والإضافات والرؤى للبنى السطحية والعميقة من باحث إلى آخر، ولا أدل على ذلك فقد طالعنا الأخبار أنَّ (شكسبير) مثلاً قد تمّت الدراسة حول مؤلفاته بما يربو عن 30000 دراسة ولا تزال الدراسة قائمة حوله، ولم يقل أحد من بريطانيا أو الغرب أنه قُتِلَ بحثاً، ونحن يهمننا تصنيف الكتابة. والتصنيف العربي الذي يحتاج إلى معرفة الأنواع والخصائص والمميزات والاهتمامات والمعوقات، حيث يقول الباحث مصطفى غلفان: "نحتاج إلى تقديم جملة من المعايير الجديدة التي يمكن اعتمادها لتحديد نوعية الكتابة اللسانية العربية الحديثة وهذه المعايير هي: الموضوع والمنهج والغاية" (غلفان، صفحة 91). يكاد يجمع عليها المحدثون خاصة الذين تأثروا بلسانيات "سوسير" التي اعتبرها مبادئ نظرية ومنهجية لا يمكن الاستغناء عنها، بل عُذَّت نقلة نوعية وتحوُّلاً في تاريخ الفكر العربي اللغوي.

1.2 معيار الموضوع بين القدامى والحديثين

الموضوع في الدرس اللساني العربي الحديث يُرادُّ به التعمق في دراسة النظريات اللسانية ومبادئها ومنهجها وأعلامها والوقوف عند التراث اللغوي العربي القديم واللغة الفصحى أو إحدى لهجاتها. كما ورد "الموضوع إحدى الأشياء التالية: النظريات اللسانية ومبادئها ومنهجها وأعلامها وما يتصل بها... (والثاني) التراث اللغوي القديم من حيث إنه تصورات وطرق للتحليل... (والثالث) اللغة العربية الفصحى القديمة والحديثة أو إحدى لهجاتها (غلفان). وبما أنَّ الموضوع يُعدُّ من القضايا التي تهتمُّ بها الدراسات الاستيمولوجية لتحديد الفواصل والفوارق بين العلوم المتداخلة. وبهذا يعود الفضل إلى سوسير الذي استطاع أن يحدده ويؤسس اللسانيات الحديثة، وكانت غايته أن تُدرس اللغة دراسة علمية مستقلة عن بقية العلوم، بل قطعها عن المنهج التاريخي تماماً. وقد ورد في هذا الشأن ما طرحه (جرهاردهلش) في كتابه "تاريخ علم اللغة الحديث" ما يلي: "فإنَّ فهم اللغة على أنَّها نظام علائقي وعلى أنَّها بنية داخلية، وفهم كيف اتخذت نموذجاً لدى "دي سوسير" من خلال أفكاره، وهي أنَّ موضوع علم اللغة ليس إلاَّ اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها وأنَّ اللغة شبكة من العلاقات التزامنية، وأنَّ اللغة ليست مادة بل شكل (هلبش، 1981، صفحة

91). وقد تأثرت الجامعات العربية بهذا المفهوم الذي يدعو إلى استقلالية العلوم وهذه الاستقلالية لا تتأتى إلا بتحديد الموضوع وتوضيحه لأنّ هذا ما تدعو إليه اللسانيات الحديثة، وفعلا تأثر الباحثون بهذا النهج كما ورد في هذا الشأن: "... للئي تحدد اللسانيات موضوعها كان عليها أن تفعل ذلك برسم مسافة فاصلة بينهما وبين علوم المجتمع والتاريخ... الأمر الذي يوضح بجلاء البون الشاسع أو القطيعة النهائية مع ما كان يُمارس داخل الدرس اللغوي السابق... كما يفسّر حادثة الدرس اللساني وجدة مشروعه" (العمرى، 2001، صفحة 15). وإذا طبقنا ما قاله الباحثون عن الدرس اللساني العربي الحديث نجده متعلّداً أو غير دقيق وفيه خلط بين أنواع الخطابات اللسانية لأنّه لم يطبق تلك المعايير بخلافها، هذا لا يعني التسليم بما قاله "دي سوسير" أو غيره في هذا المجال وهكذا تمّ تصنيف الكتابات اللسانية العربية الحديثة إلى كتابات تراثية وتعليمية ومتخصصة.

وعلى سبيل المثال نأخذ أمثلة عن عدم الدقة في مجال التعريف المصطلحي حيث لا يخلو التعريف المصطلحي من العديد الصعوبات اللسانية التي تمنعه وتعيقه أحياناً كثيرة من الوصول إلى صياغة سليمة ومجدية للمفهوم المراد الوصول إليه، فهو في أصل وصفه المعجمي: "تعريف علمي مختص لا يحدّد الدلالة المركزية العامة للمدخل، ولا يراعي صلة المدخل بالنظام اللساني بل يكتفي بتحديد الدلالة في المجالات العلمية كالطب والفيزياء و اللسانيات وغيره من مجالات الخبرة الانسانية" (حلامية، 1999، صفحة 138). وإذا حللنا هذا التعريف يصبح من الصّعب تحقيق تعريف مصطلحي نصل من خلاله إلى مفهوم علمي وفق المعايير اللسانية الصحيحة، وعليه إذا أردنا تطبيق الدقة الموضوعية والمعايير اللسانية في أي عمل أو كتابة وفق المعايير اللسانية. يجب أن نعمل بما أكّد عليه بعض اللسانيين كمثال فهمي حجازي، حيث يقول: "لا بدّ أن نتجنّب الإيحاء والعموم وعدم الدقة ولهذا فإنّ المصطلحات ينبغي أن تكون دالة على نحو مباشر ودقيق وبعيد عن اللغز والغموض، وعندما نستخدم كلمات من اللغة العامة في لغة التخصص فإنّ هذه الكلمات تكتسب في استخدامها الجديد دلالة محددة وغير عامة، فتصبح دلالة الكلمة في اللغة العامة مختلفة عن دلالتها الاصطلاحية" (فهمي، 1993، الصفحات 14-15).

ولنأخذ مثلاً آخر حول علم اللغة الاجتماعي وكيف يتم الخلط وعدم التقييد بما جاء في هذه المعايير فعندما نطالع كتاب اللغة والمجتمع لعبد الواحد وافي تجده قد تعرّض لتعريف علم اللغة الاجتماعي، فهو يؤكد على ضرورة أن اللغة ظاهرة اجتماعية وهي بوصفها هذا؛ تُعدّ من موضوعات علم الاجتماع ولدراسة أية لغة في نظره يجب أن يكون منطلقها من منظار علم الاجتماع، وبمنهج علم الاجتماعي وآلياته لأنّ هذا العلم يبيّن ويوضّح ويُفسّر الظواهر اللغوية من حيث نشأتها وتطوّرها كما يكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظاهرة ويوضّح مدى تأثيرها بالظواهر الاجتماعية الأخرى (وافي، صفحة 07). وهذا التعريف يتناقى مع دعت إليه اللسانيات البنوية التي إهتمت بدراسة اللغة وفق حيز علمي مغلق في ذاتها ولذاتها وذلك لأنّها تهمّل البعد الاجتماعي وكذلك "دي سوسير" واتباعه يركزون على جعل اللغة مستقلة عن باقي العلوم. والباحث في عمق التاريخ وتحديدًا عن الكتابة وعن الموضوعات يجد أنّ "علماءنا الأجلاء اختلفت توجهاتهم العلمية فمنهم القراء ومنهم النحاة ومنهم علماء الأصول ومنهم الفلاسفة" (حساني، 2013، صفحة 61). فكلهم تعرضوا لشتى العلوم في جميع المجالات بداية من سيبويه والخليل وابن جني والزنجشري وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر ومنهم "تمام حسان وإبراهيم أنيس وعبد الرحمان الحاج صالح وعبد

الجليل مرتاض وخولة الابراهيمى وبشير إبرير... "الذين أسهموا في إنجاز البحث العلمي اللغوي وكل واحد حسب منظوره الخاص.

وبالنسبة للكتابة وتحديد الموضوعات نجد كما ذكرت آنفاً من العرب من أسهموا في الترجمة والكتابة على سبيل الذكر (كتاب اللغة والمجتمع) لعلي عبد الواحد وافي، كتاب (المدخل إلى علم اللغة) (ومناهج البحث اللغوي) لعبد التواب رمضان وعالجوا عدّة قضايا لغوية، كتاب (التعريف بين المبدأ والتطبيق) لأحمد بن نعمان، كتاب (اللسانيات الاجتماعية) لجميل حمداوي. هؤلاء جميعاً وغيرهم درسوا المناهج الغربية واستفادوا منها، ولكن كانت لهم بصماتهم الخاصة التي يُشكرون عليها وكل ما قلته في هذا العنصر لا يعني بالضرورة أنني أتماهي مع ما جاء عن "دي سوسير" واتباعه فقط قدّمت قراءة متواضعة حول الموضوع كميّار من معايير الكتابة اللسانية ومدى إلزام الكتاب العرب بذلك.

وعلى سبيل أمثال نذكر بعض الباحثين والعلماء الذين حاولوا بعث الحياة اللغوية ودفَعوا الدراسات اللغوية إلى مواكبة العصر وتحريها من قيود التبعية والتقليد والجمود، بل تبناوا المنهج الوصفي من خلال النظرية اللسانية الحديثة حتى تواكب المستجدات الثقافية والحضارية ونذكر من بينهم: "إبراهيم مصطفى الذي دعا إلى إحياء النحو حيث رأى النحو القديم يتسم بالغلو والابهام ولم يعد مناسباً لزماننا ويقول في هذا الشأن: <>أطمع أن أُعَيَّر منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو وأبدلهم منها أصولاً سهلة يسيرة تقرهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها>" (إحياء النحو، 1994، صفحة أ).

وإبراهيم مصطفى دعا إلى إلغاء نظرية العامل لأنه يرى أنّ النحاة القدامى كانوا شكليين واستبعدوا المعنى ومهما يكن فقد حاول الكتابة واجتهدوا لكن مساره النقدي وقع في اختلاف بين المنهج والتطبيق، بالتالي أخفق في تحقيق أهدافه. وإذا وقفنا باختصار عند إبراهيم أنيس نجدّه هو الآخر حمله الطموح إلى محاولة تغيير في النحو العربي من أجل تحقيق صعوبة، والبعد عن خطر التأويل والتقدير حسب نظره فألّف كتاب (أسراراً للغة) وحاول أن يثبت أنّه إستخدم الاستقصاء العلمي، متمثلاً روح العصر الجديد والحداثة اللسانية، وتوجّه إلى الاعراب وأنكر دوره في المعنى، بل حاول أن يعيد النظر في قضايا مثل: التنوين والمثنى وجمع المذكر السالم والقياس. ثمّ جاء من بعده تلميذه مهدي المخزومي الذي سار على منوال أستاذه إبراهيم مصطفى وصرّح أنّ أستاذه لم يكتب له النجاح فيما طرحه من أفكار، يقول: "لم يكتب لها النجاح حيث عصفت بها رياح السلفيين الذين رفضوا أي تغيير للأصول النحويّة وكانت ردود فعلهم إتهاماً واستعداء، فلم يحسن الدارسون إستقبال محاولته الأصيلية، فكان ذلك خيبة أمل له قعدت به فيما أظن عن أن يواصل ما بدأ به" (المخزومي، 2003، صفحة 29). وهو الآخر دعا إلى إلغاء نظرية العامل وإبعاد المنهج الفلسفي وجاء من بعده شوقي ضيف وأراد إعادة النظر في التراث النحوي، حيث حقق كتاب (الرد على النحاة) ووضع مشروعه في ثلاثة كتب. مرحلة كتاب (الرد على النحاة) سنة 1947 وتأليفه لكتابين؛ الأول (تجديد النحو) سنة 1982، والثاني (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً) سنة 1986، وطالب بإعادة تنسيق أبواب النحو وإلغاء النحو التقديري وضبط الحدود والأبواب النحوية. كما لا يفوتنا أن نتحدّث عن محاولة تمام حسان الذي طالب بتجديد النحو ودعا إلى إلغاء نظرية العام واستبدالها بنظرية القرائن التي ترى أنّ اللغة العربية ذات نظام لغوي مركب من ثلاثة أنظمة هي النظام

الصوتي والصرفي والنحوي وهذه القرائن اللفظية والمعنوية هي التي تكون سببا مباشراً في نجاح الدرس النحوي كما اتخذ المنهج الوصفي الحديث للعلاج حيث يقول: "والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كله منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة..." (حسان، صفحة 10).

وخلاصة القول في هذه النقطة: إنما طرحه تمام حسان يُعدُّ محاولة جريئة، بل قدَّم نموذجاً يمتاز بالطابع الوصفي التطبيقي لكنه خالف المنهج الوصفي الحديث، كونه درس اللغة المنطوقة وأضاف إليها دراسة اللغة المكتوبة وهذا مخالف لمعايير اللسانيات الحديثة التي تأثر بها. كما كانت للمجامع اللغوية دور كبير في توجيه الأحكام النحوية وطرح بدائل تجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين المناهج القديمة والحديثة، بل ركزت على إلغاء نظرية العامل وتخليصه من الفلسفة والتأويل، إلا أنها بقيت عاجزة في نظر المنصفين عن الإتيان بدائل لما طرحه السلف والسابقون من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه والفرّاء وغيرهم، وكما كان للدرس النحوي هذا الزخم كان للدرس والكتابة في جميع العلوم من البلاغة، النقد، والأدب الحديث والمعاصر والسرديات والمعاجم نصيب كبير لا يستهان به، بل قد حاول الكتاب طرق كثير من الموضوعات محاولين الاستفادة من اللسانيات بمختلف فروعها، وهذا ديدن البحث على مرّ الزمان والعصور، الذي يحاول بعث الحياة والروح في جميع الدراسات اللغوية العربية وسنة الله في خلقه التدافع والخلود لصاحب الحجة القوية.

2.2. اجتهدون ودورهم في الانتقال من المناهج القديمة كالتقريبية والانطباعية إلى الحديثة كالإبداعية

في هذا المقال ركزت على معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة حسب الموضوع والمنهج. وبما أنّ القرن التاسع عشر شهد ثورة علمية وتفاعلات معرفية فما عاد للدوق والانطباع المتسم بالسطحية مكان، بل لم يعد مناسباً لروح العصر العلمية ممّا استدعى من النقاد استثمار الروح العلمية في إيجاد مناهج جديدة تحاول الاقترب من العلمية والابتعاد عن التقريبية والانطباعية والتأثرية، فظهرت مناهج سياقية أثرت في العمل الإبداعي إنتاجاً، وتلقياً وقراءة ونقداً. ودون إطالة نقف بداية عند المنهج ونختار المنهج الوصفي كونه يعالج المسائل اللسانية الحديثة >>منهج يقوم على دراسة وتوصيف الظاهرة والعلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها<< (حامد، 2008، صفحة 44).

كما أنّ المنهج يُعدُّ أداة من أدوات البحث الإجرائية التي يجب على الباحث أن يلتزمها أثناء دراسته، كذلك اللسانيات الحديثة الممتدة لتحقيق العلمية لأنّه كما ورد: غايته إضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي يتوصل إليه" (عودة، 2009، صفحة 17). و"دي سوسير" حاول أن يطبق هذا المنهج في دراساته اللسانية، وبما أنّ العلاقة جدّ وثيقة بين المواضيع والمناهج فقد أكّد الباحثون على ذلك "إنّ الموضوع المعالج يتأثر حكماً بالمنهج المعالج، وقد تتغير حقيقته إذا ما غُولج بمنهج غريب.." (فضل الله، 1998، صفحة 15).

والأسئلة المطروحة لدينا: هل العرب استفادوا من هذه المناهج؟ هل لديهم رؤية تبنّوها في كتاباتهم اللسانية الحديثة، كون المنهج من الأسس الأبستومولوجية أثناء عملية البحث والتنقيب عن الخلفيات الفلسفية والمعرفية؟

وبعض العرب كما ذكرنا في الموضوع قد تأثروا بالمناهج الغربية وباللسانيات الحديثة، بل إعتمدوا إتجاهات لا تنفك عمّا جاءت به اللسانيات العربية الحديثة التي قسمت إلى ثلاثة أقسام: "المنهج التعليمي التربوي الذي يروم تقديم

المعرفة للقارئ العربي... والمنهج إعادة القراءة والمناهج العلمية المعروفة في اللسانيات... "(غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 91). وقد أدرك الكتاب العرب أهمية المنهج ودوره المهم وأولويته قبل طرق المواضيع في مجال اللسانيات... "نحتاج إلى تحديد المنهج أولاً، ثم الموضوع ثانياً" (غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 209). ومن أجل هذا دافع مؤيدو اللسانيات الحديثة من العرب على مثل هذا الطرح، وصنّفوا أنواع الخطّاب اللساني بفضله، وبما جاء به من معايير -ومع ذلك شخصياً- أذهب مذهب الوسطية والتوفيق بين المناهج التي اعتمدها أسلافنا والمناهج الحديثة، ومما أعجبني في كتاب منهج البحث الأدبي واللغوي للمؤلفين د. مُحمّد عبد علي الكريم الرديني ود. شلتاغ عبود قولهم: "... ولا يعني ما تقدّم أنّ الباحث اللغوي مطلوب منه أن يُمسك بمعول يهدم به صرح البناء اللغوي الذي شيّده الأسلاف ممثلاً فيما خلفوه من تراث، بل يعني تحديداً في طريقة الدراسة والبحث يبعث الحيوية والنشاط في جسد كاد يبرد، آباؤه أو جسد ركبته الأمراض والعلل، وكاد أقرب الناس إليه ينفضون من حوله لطول رقوده" (الكريم و شلتاغ، 2010، صفحة 186). كما يواصلان الحديث بهذا الشأن بقولهما: "فلو أنّنا استعنا بهذا التراث بعد فحصه، ومناقشته وإخضاعه للمنهجية العلمية المناسبة للعصر، لأمكننا انقاذ اللغة، ونحينا عنها ما يشكو منه أبناءها من صعوبة فهمها، وعسر التعبير عنها، وجنّبناها ما تنهّم به من عجز عن مواكبة ركب الحضارة" (الكريم و شلتاغ، 2010، الصفحات 186-189). وبالمناسبة هذا الكتاب في المناهج الأدبية واللغوية جدير بالقراءة ويحسن بالباحثين والطلبة من الطلاع عليه بمحتويه من فوائد جمّة قديمة وحديثة.

كما لا أنسى أنّ الدرس اللساني الحديث عرف حركة واسعة على مستوى التأليف في عديد الكتابات خاصة المؤلفات التي عيّنت بالمستوى الصوتي، وهذه الكتابات عاجلها الباحثون مع الارتباط بالتراث الصوتي بالإضافة إلى الاستفادة من الجانِب التكنولوجي وتحديداً في تحليل أصوات اللغة العربية وكما هو معلوم أنّ الصوتيات هي فرع من فروع اللسانيات وكان للفونوتيكا والفونولوجيا حصّة معتبرة لدى باحثينا الذين استفادوا من العلوم الحديثة وطبقوها على ما وجدوه في تراثنا خاصة علم الترتيل والتجويد ووجدوا أنّه لا يختلف كثيراً عمّا أبدعهُ علمائنا القدامى الأفاضل...، وإذا جازَ لنا أن نؤسس فكرة اللسانيات العربية إنّما ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني العربي الحديث، فإنّنا سنحدد هذه النشأة بعودة المؤفدين المصريين من الجامعات الأوروبية حيث درسوا المناهج اللسانية الحديثة وبدأوا بنشر بحوثهم اللسانية من ذلك التاريخ (حسن، صفحة 59). وقد ألّف عديد من العلماء مثل: تمام حسان (مناهج البحث في اللغة)، كذلك محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)، وقد جعلوا موضوع الدرس يدور حول الدراسة الصوتية بنوعيتها الفونوتيكا والفونولوجيا. وألّف إبراهيم أنيس في (اللهجات العربية القديمة) و(في الأصوات اللغوية) والمقام لا يتسع لتفصيل ذلك.

كما شكّل التراث الصوتي العربي مرجعاً مهماً للكتابات الصوتية الحديثة وعمل المحدثون على ربطها بالدرس الصوتي، وحديثاً استفادوا من التكنولوجيا من تحليل الأصوات اللغوية، وهذا يدعونا إلى تسارع الخطى في هذا المجال خاصة ونحن نعيش في دول غنية وتملك الأموال وبإمكاننا أن نُبدع في جميع المجالات الكتابية والمضامين المفيدة.

3.2 تصنيف الخطّاب اللساني اعتماداً على معيار الغاية لدى القدامى والمحدثين

نحن نعيش في عالم يسمّى القرية الكونية بفضل التكنولوجيا والعولمة وكأمة عربية نجد أنفسنا بعيدين عنها كلّ البعد رغم كوننا أمة لها تاريخ مشرق ارتبط بديننا الإسلامي وقدنا العالم، بل حكمناه قرونا عديدة في جميع المجالات وتلك العلوم لم تنشأ إعتباطاً ودون أسباب ودواعٍ، وعند الحديث عن الخطاب اللساني العربي القديم والحديث نجد تلك الأسباب والدواعي والغايات متوفرة رغم ما أصابنا من جمود وكساد. وعلى ضوء الدراسات الحديثة وكبقية الشعوب تمّ اعتماد معيار الغاية لتصنيف الخطاب اللساني العربي الحديث ضمن عمل إستيمولوجي يتوحّى الحدود الفاصلة بين تلك الأنواع التي تتعدد مواضيعها وغاياتها. وفي هذا المعنى نجد تعريفاً موجزاً لصاحبه مصطفى غلفان: "وإنّ المعنى المقصود في موضوع اللسانيات هو الغاية المتوخاة من كل نشاط فكري... غير أنّ الموضوع في اللسانيات لا يقدّم نفسه بشكل تلقائي، إنّ نتيجة عمّل تصوري ومنهجي..." (غلفان، في اللسانيات العامة، 2010، صفحة 213). نفهم من هذا التعريف أنّ العلاقة الوثيقة بين هذه المعايير مجتمعة، وكما هو معلوم لدى الدارسين أنّ الغاية لها ثلاثة أهداف تتمثل في تبسيط المعرفة والثاني التوفيق بين التراث اللغوي القديم والنظريات الحديثة وصولاً إلى المرحلة الثالثة وهي الاقتراحات وتفسير الظواهر اللغوية العربية. وفي هذا الصدد يضيف مصطفى غلفان: "الهدف الذي يؤومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني من حيث الغاية ثلاثة أنواع: الأول: تبسيط المعرفة وتقريبها من القارئ العربي المتخصص والثاني: التوفيق بين التراث اللغوي القديم في جوانبه المتعددة ومضامين النظريات اللسانية الحديثة والثالث إقتراح وصف أو تفسير جديدين لظواهر لغوية عربية" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، صفحة 91).

وبالبحث في عمق التاريخ العلمي العربي نجد أنّ علماءنا الأجلاء قد اختلفت توجهاتهم العلمية، فمنهم القراء ومنهم النحاة ومنهم علماء الأصول ومنهم الفلاسفة (حساني، 2013، صفحة 61). فكلهم تعرضوا لشتى العلوم في جميع المجالات خاصة منها الدراسات اللغوية بمناهجها المختلفة بداية من سيبويه والخليل، ابن جني، الزمخشري وصولاً إلى العصر الحديث ونذكر على سبيل المثال تمام حسان و إبراهيم أنيس وعبد الرحمان الحاج صالح وعبد المالك مرتاض وغيرهم ممّن أسهموا في إنجاز الدرس الحديث من المشاركة والمعاربة الذين لا يتسع المقام لذكر أسمائهم جميعاً. وللتاريخ وللإنصاف فقد بحث علمائنا منذ القدم على أثر الإسلام على اللغة وما جاء معه من كلمات جديدة غير عربية احتواها القرآن، كما بحثوا الأثر الجغرافي في اللغة وسلامتها حين عرضوا لفصاحة اللهجات ودرجاتها وتفاوتها (سنادي، 2009، صفحة 216). وعلمائنا أدركوا وجود تلك الحقائق التي تشير إلى أنّ لغة الخطاب يجب أن تكون موجهة على حسب المستويات الثقافية والاجتماعية التي تنادي بها اللسانيات الحديثة والخطابات المعاصرة. كما يقول الباحث: "فهم في الحقيقة أدركوا وجود هذه العلاقة في دراستهم وحتى في خطاباتهم اليومية، ومن ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- <<خاطبوا الناس على قدر عقولهم>>" (عبد القادر بن محمد، صفحة 125). ولهذا نقول إنّ العرب قديماً تطرقوا لكل ما أبدعته اللسانيات ولكن كان ينحى منحى التطبيق دون وجود نظريات ودون وضع مصطلحات علمية ويكفي أن نشير إلى العلامة ابن خلدون من خلال كتابه (المقدمة) وقد تعرّض إلى عدة قضايا لغوية واجتماعية أصبحت الآن مثار البحث لدى العالم بأسره، وأيضاً مالك بن نبي -رحمه الله- وهذا يؤكد أنّ للعرب دوراً في نشأة هذه العلوم. وبالعودة إلى أنواع الكتابة اللسانية في الخطاب العربي الحديث نجد أنواع الكتابة اللسانية اعتمدت على

الموضوع والغاية والمنهج كما كانت لتلك الكتابة معوقات وإزمات منها ما تمّ معالجتها ومنها التي تزال قيد الدراسة، وتنتظر وضع الحلول والاستراتيجيات، ومن هذه الكتابة:

● **الكتابة اللسانية التمهيدية:** وهذه تسعى عن طريق التمهيد والتقريب لاطلاع القارئ العربي على التيارات اللسانية الغربية، كما يؤكد على ذلك الباحث مصطفى غلفان: "يشكل ممّا تقدمه اللسانيات الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة وتعتمد المنهج التعليمي... وغايتها تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية للقارئ العربي" (غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، صفحة 91).

● **الكتابة اللسانية التراثية:** وهذا الاتجاه أو هذه الغاية كان المقصود منها إعادة قراءة التراث والاطلاع عليه، والتوفيق بينه وبين ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث وقد أشرت في ثنايا البحث إلى ذلك على مؤلفات تمام حسان أو عبد الرحمان أيوب والمتوكل وعبد الرحمان الحاج صالح. وكانت الغاية لديهم وصف اللغة في ضوء ما قدمته اللسانيات الحديثة واعتمدوا المناهج اللسانية كالمناهج الوصفية الذي تؤكد عليه الدراسات الحديثة، ومع ذلك نشير إلى جملة من المعوقات التي واجهت الدرس اللساني العربي الحديث كما أورده حافظ إسماعيل: "وباعتبار اللسانيات من العلوم الإنسانية التي نشأت في أحضان الثقافة الغربية الحديثة، ثمّ وفدت إلى البلاد العربية، فقد اعترضتها عدّة صعوبات ممّا جعلها تحيد وتبتعد عن مسارها العلمي الذي انتجت فيه ومرر ذلك إلى العوائق السيولوجية والاستيمولوجية وعجز اللسانيات عن حل مشاكلها الخاصة" (علوي، 2009، الصفحات 80-81).

كذلك نجد معوقات موضوعية منها الأيدولوجية والاجتماعية والثقافية العربية ومشاكلها متعددة. كذلك نجد المعوقات الاستيمولوجية التي ترتبط بكنه الدرس اللساني العربي الذي يجعله لا يواكب الدرس الغربي من تقدّم وانفتاح في عدّة مجالات معرفية وعلمية وفلسفية ناهيك عن علم النفس، علم الاجتماع والرياضيات. تلك العلوم التي استعان بها الدرس الغربي بينما نجد القلة القليلة عندنا كمثال عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي استعان بالرياضيات في مجال اللسانيات.

والحديث عن العوائق لا تكفيه مجلدات وأنا مرتبط بصفحات معدودة في هذا المقال، لا يمكنني أن أتجاوزها ولذلك إكتفيت بهذا. وفي ختام هذه الكلمات أنا مع التوفيقين وضد نظرة التشاؤم لدى بعض الحدائين الذين ينظرون إلى اللسانيات العربية نظرة احتقار ودونية، بل يرونها كأثمة فوق أزمة تحت أزمة، وهذا ليس من الإنصاف بتاتاً، فالغرب الذي يراه بعضهم نموذجاً فهو لم يتخلّ عن مبادئه ولغته وأعرافه وثقافته، بل ها هم اليهود أعادوا الحياة للغتهم وثقافتهم وكتاباتهم بعدما إنمحت العبرية كما يقول الباحثون أكثر من خمسة قرون، فلم لا نكون مثلهم، ونعيد الحياة للغتنا وثقافتنا وكتابتنا مهما كانت الظروف والأزمات والمعوقات.

وبالنسبة للقضايا اللسانية أرى أن أتوجّه هذه القضايا بما دعا إليه كثير من الباحثين من وطننا وخارج وطننا من الباحثين والفلاسفة واللسانيين وعلى سبيل الذكر، كنموذج نأخذ العلامة عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- الذي

دعا إلى دعوة توافقية تجمع بين الأصالة والمعاصرة وهو في هذا الشأن لم يكتف بالخطاب المستهلك بل قدّم إنجازات تعدّ أنموذجاً وظيفياً صالحاً لتوظيفه واستعماله كبديل في عصرنا هذا يتمثل في النظرية الخليلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث في الفكر والنحو كدراسته لعمر بن العلاء، وعيسى بن عمر وإسحاق الحضرمي ودراسة أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه. حيث أيقن أنّ النظريات الحديثة يجب أن تركز على النظريات القديمة، وأكد -رحمه الله- على وجوب معالجة ما خلفه القدماء دون ازدراءه أو تهميشه لأنهم استخدموا المنهج الاستقرائي القائم على المشاهدة والرؤية الصحيحة، وفي ذلك يقول: >>... ضرورة لجوء الباحث إلى نظرية علمية في اللغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصياغة المنطقية الرياضية، فالنظرية اللغوية المتماسكة أي التي لا تحتوي على غموض في تحديد مفاهيمها وخط بين هذه المفاهيم. ولا تقتصر على بعض أشكال هذا التحديد دون بعض. هي الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاملون مع الحوسبة اللغوية في العلاج الآلي للغة ونعتقد أنّ هذه النظرية بالنسبة للعربية يمكن أن نجدها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا كلّ المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الأصيلة التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه <<(الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

يضيف أيضاً عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله-: >>... إنّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أثر أو شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يهتموا بما قصده هذا الرجل العبقري بتحليلاته لظاهرة اللغة... ويا حبذا لو درسوا في القوت نفسه نظريات علوم اللسان الحديثة لأنّ فيها من المعاني والمفاهيم لو تدبروها لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة <<(الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

وكذلك نورد ما قاله الباحث الأوروبي الذي أنصف العرب والمسلمين، روجر بيكون (1214-1294) الذي درس علوم العرب وتأثر بمنهجهم، يقول: "... إنّ أوروبا دُعيت فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت غارقة في ظلمات الجهل طوال 05 قرون وهي مدينة بكل مقوماتها إلى العالم الإسلامي وأنّ الفكر الأوروبي كان من المستحيل أن يكون له شأن يذكر لولا وجود المعارف العربية..." (الكريم و شلتاغ، 2010، صفحة 34).

3. خاتمة:

في خلاصة مقالنا الذي حاولنا فيه لتحفيز الهمم والرقى بالدرس اللساني العربي الحديث من حيث الموضوع والمنهج والغاية، توصلت إلى النتائج الآتية:

- التخلص من مركب النقص الذي عشعش في أذهان كثير من الباحثين والطلبة كون العرب لا علاقة لهم باللسانيات الحديثة ولا علم لهم بالاستقراء والقياس والاستنباط.
- رفض موقف الثورة على كل الموروثات العربية التي لولا فضل الله ثم فضلها لما كنّا نجز مثل هذه المقالات والملاحظات.

- تبني الرؤية الموضوعية وتقبل الآراء ما دامت تتصف بالجدة والصلاح والنظرة العلمية والمنهجية المعترف بها علمياً من طرف الهيئات وأولي الاختصاص.

- الاستفادة من التنقيب في مناهج البحث اللساني الغربي الحديث مع عدم نسيان مناهج الحضارة الإسلامية كالمناهج الاستقرائي الذي استوحاه علماء المسلمين من التوجيه القرآني ووظفوا الاستدلال والقياس في شتى العلوم التي كتبوا حولها ونبغوا فيها بل يحسن بنا عدم إقصاء المناهج التقريرية والابداعية التي نادى بها القدامى لما لها من فوائد جمّة في عالم الكتابة أثبت التاريخ جدواها.

- عدم الولوع والاعتثار بكثرة المدارس والتيارات الغربية الوافدة لأنها جعلت العلماء والباحثين في ضيق وعسر وتقلل واضطراب وعليه يحسن اختيار أهمها والاستفادة منها بما يتناسب مع لغتنا وأصالتنا لأنها ولدت في بيئة غير بيئتنا ومستويات الخطاب تختلف من بيئة إلى أخرى.

في الأخير يحسن بالمشرفين على العمل الجامعي والتربوي أن تكون لهم قرارات سيادية في تطوير اللغة والدرس اللساني العربي في جميع التخصصات وتكريسهما في أرض الواقع والاستفادة من خبرات ونظريات وأطروحات علمائنا وباحثينا الذين نحسبهم من الصفوة والنخب العالمية بما لديهم من نظرة متعلقة بحكمة ومواقف وسطية معتدلة ونذكر منهم على سبيل المثال عبد الجليل مرتاض -رحمه الله- وعبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله- وصالح بلعيد من علماء بلدنا، ناهيك عن علماء الوطن العربي الكبير. بل يجب علينا أن نحب طلبتنا وباحثينا بما هو مرصود في تراثنا العظيم.

فعلى سبيل المثال، ها هو السيوطي -رحمه الله- له كتاب المزهري في علوم اللغة، وحد اللغة وتصريفها وصنع اللغة، واصل اللغة من الأصوات، الألفاظ ودلالاتها. وهذا الصاحبي قد أبدع في فقه اللغة، وكتاب اللغة توقيف أم اصطلاح، وما يميز الإنسان العربي وهذا ابن جني له كذلك: هل اللغة مواضعة، والخصائص، التبليغ من اللغة ومن خارجها. كما نجد التوحيدي قد أنعش المكتبة العربية بكتبه كالهوامل والشوامل بين اللغات، ونجد الرازي العامل الفيلسوف له ما يجيب عن الأسئلة المطروحة لدى الفلاسفة المحدثين كمثل التفسير الكبير، الفكر واللغة، وهذا ابن حزم نجد له الأحكام في أصول الأحكام وكتابه الشهير لا تفاضل بين اللغات وكتاب تعدد الألسنة، وأما العلامة ابن خلدون -رحمه الله- غلبة اللغة بأهلها، وعندما نصل الى الغزالي نجد ابداع في كتابه المستقصى وكتاب دلالة الألفاظ على المعاني، وعندما نعرض على عبدالقادر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز نقف مشدوهين، وغيره من العلماء الأماجد كأبي هلال العسكري في كتابه الفروق في اللغة، ولا يفوتني أن أعرج على بعض علماء عصرنا وكتابتنا مثل عبد السلام المسدي في الحضارة العربية كذلك.

من أهم الكتب الفلسفية في مجال لغة كتاب اللغة دفاتر فلسفية للكاتبين محمد سبيبة وعبد السلام بن عبد العالي، وكذلك كتاب بحوث في اللغة للمؤلف قطبي الطاهر، وكذلك لا أنسى أحمد مختار عمر في كتابه محاضرات في علم اللغة الحديث، وعبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة، وكذلك كتاب المدخل في علم اللغة لرمضان عبد التواب، وكتاب علم اللغة لمحمود السعران، وميشال زكريا في كتابه الألسنية وخولة طالب الإبراهيمي في كتابها مبادئ في اللسانيات وكمال بشر في كتابه دراسات في علم اللغة.

وكذلك نختم بما قاله الباحث المنصف روجر بيكون (1294-1214) الذي درس علوم العرب وتأثر بمنهجهم، يقول: "... إنَّ أوروبا دُعيت فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت غارقة في ظلمات الجهل طوال 05 قرون وهي مدينة بكل مقوماتها إلى العالم الإسلامي وأنَّ الفكر الأوروبي كان من المستحيل أن يكون له شأن يذكر لولا وجود المعارف العربية..." (الكريم و شلتاغ، 2010، صفحة 34).

كذلك قبل الختام يحسن بنا أن نتوج المقال بما دعا إليه عبد الرحمان الحاج صالح من دعوة توافقية تجمع بين الأصالة والمعاصرة كمثال لإنجازاته التي تعدُّ أنموذجا صالحا لتوظيفه واستعماله كبديل في عصرنا هذا وهذا البديل يتمثل في النظرية الخليلية الحديثة التي عكست مطالعات الرجل العميقة للتراث في الفكر والنحو كدراسته لعمر بن العلاء، وعيسى بن عمر وإسحاق الحضرمي ودراسة أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويه. حيث أيقن أنَّ النظريات الحديثة يجب أن تركز على النظريات القديمة، وأكد -رحمه الله- على وجوب معالجة ما خلفه القدماء دون ازدرائه أو تهميشه لأنَّهم استخدموا المنهج الاستقرائي القائم على المشاهدة والرؤية الصحيحة، وفي ذلك يقول: >... ضرورة لجوء الباحث إلى نظرية علمية في اللغة تستطيع أن تستجيب لما يبتغيه من الصياغة المنطقية الرياضية، فالنظرية اللغوية المتماسكة أي التي لا تحتوي على غموض في تحديد مفاهيمها وخلط بين هذه المفاهيم. ولا تقتصر على بعض أشكال هذا التحديد دون بعض. هي الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاملون مع الحاسوبيين في العلاج الآلي للغة ونعتقد أنَّ هذه النظرية بالنسبة للعربية يمكن أن نجدها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا كلَّ المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الأصيلة التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويه<< (الحاج صالح، 2007، صفحة 317).

يضيف أيضاً عبد الرحمان الحاج صالح -رحمه الله-: >> إنَّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أثر أو شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولون أن يهتموا بما قصده هذا الرجل العبقرى بتحليلاته لظاهرة اللغة... ويا حبَّذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علوم اللسان الحديث لأنَّ فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروا لوجودها شديدة الشبه بما يجدونه في تلك الكتب القديمة << (الحاج صالح، 2007، صفحة 317). وهذا الباحث الكبير عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المقعرة، يقول: >> كل ما أردنا إثباته بهذه الوقفات الطويلة والنماذج العديدة أنَّ كل معطيات علم اللغة كما طوره سوسير لم يكن فتحا جديدا، وكان يجب أن يكون كذلك بالنسبة للمثقف العربي لو أنَّه في حماسه للتحديث وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي<< (حمودة، أوت 2001، صفحة 257).

كما نجده؛ وهو الباحث الذي عاش ردها من الزمن في أوروبا وتحديدًا في إنجلترا وعاش الغرب وعلماء الغرب وانتهى إلى خلاصة نتائج يرفض فيها الاستلاب الفلسفي الغربي بل يدعو إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة وأخذ ما يصلح لنا من نظريات تخدم لغتنا وأصالتنا، حيث يقول: >> أرفض قطعاً أن أظل علامة تائهة تسبح حسب ما يقذفها التيار ويطلب منها أن تستقر في نهاية المطاف فوق شاطئ سوسير وشتراوس وياك وبنى وبارك ودريدا بل حتى إيدموند هوسرل ومارتن هايدغر، بينما شطآن الجاحظ وقدامة بن جعفر وابن طباطبا العلوي وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني قريبة، أقرب ممَّا يتصوره الكثيرون من العقل والقلب...<< (حمودة، أوت 2001، صفحة 257). ويا حبذا لو يعود بعض الباحثين إلى منجزات وتآليف علمائنا الأماجد وكتبهم القيمة التي تؤكد على ما ذهبنا إليه.

4. قائمة المراجع:

- إحياء النحو. (1994). (02 ed.). القاهرة، مصر: دار الكتاب الإسلامي.
- الحاج صالح، ع. أ. (2007). *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر: موفم للنشر.
- السيوطي، ج. أ. (2003). *تاريخ الخلفاء*. مصر: دار ابن حزم.
- العبيدات، ر. ع. (2000). *الألسنة المعاصرة والعربية*. مجلة الذخائر. (01)
- العمرى، م. م. (2001). *الأسس النظرية البنيوية والتوليدية*. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- الكريم، م. ع. & وشلتاغ، ع. (2010). *منهج البحث الأدبي اللغوي*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
- المخزومي، م. (2003). *قضايا نحوية*. أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.
- المسدي، ع. أ. (1984). *قاموس اللسانيات*. مصر: الدار العربية للكتاب.
- حامد، خ. (2008). *منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية*. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- حسان، ت. (n.d.). *العربية معناها ومبناها*. (02 ed.). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حساني، أ. (2013). *مباحث في اللسانيات*. (02 ed.). الإمارات العربية المتحدة: منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- حسن، ت. (n.d.). *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة، مصر: المكتبة الانجلومصرية.
- حلامية، أ. (1999). *تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصر*. سوريا: اتحاد الكتاب العرب.
- حمودة، ع. أ. (أوت 2001). *(المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية (سلسلة المعارف)*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- سنادي، ع. أ. (2009). *نافذة على علم الاجتماع اللغوي*. مجلة معارف. (07)
- عبد القادر بن محمد، أ. أ. (n.d.). *الموافقة الإلهية*. بيروت، لبنان: كتاب ناشرون.
- علوي، ح. إ. (2009). *اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي* / *واشكالاته*. مصر: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- عمر، أ. م. (1975). *البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر*. (1 ed.). مصر: عالم الكتب.
- عودة، ن. (2009). *تكوين النظرية في الفكر العربي الإسلامي*. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- عياشي، م. (1990). *قضايا لسانية وحضارية*. سوريا: دار طلاس.

- غلفان، م. (n.d.). اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية عين الشق، المغرب.
- غلفان، م. (2010). في اللسانيات العامة. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- فضل الله، م. (1998). أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق. (02 ed.) بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- فهيمي، ح. م. (1993). الأسس اللغوية لعلم المصطلح. القاهرة، مصر: دار غريب.
- هلبش، ج. (1981). تاريخ علم اللغة الحديث. (04 ed.) س. ح. بحيري (Trans.)، مصر: مطبعة العمرانية للأوفست.
- وافي، ع. ع. (n.d.). اللغة والمجتمع.